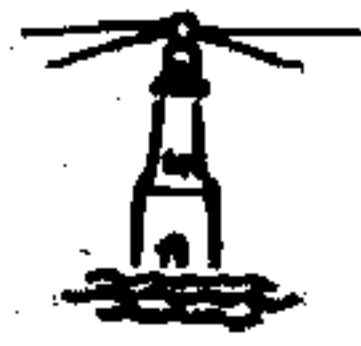


الدكتور
عبد الحلیم محمود

کتاب الجهاد

الطبعة الثانية



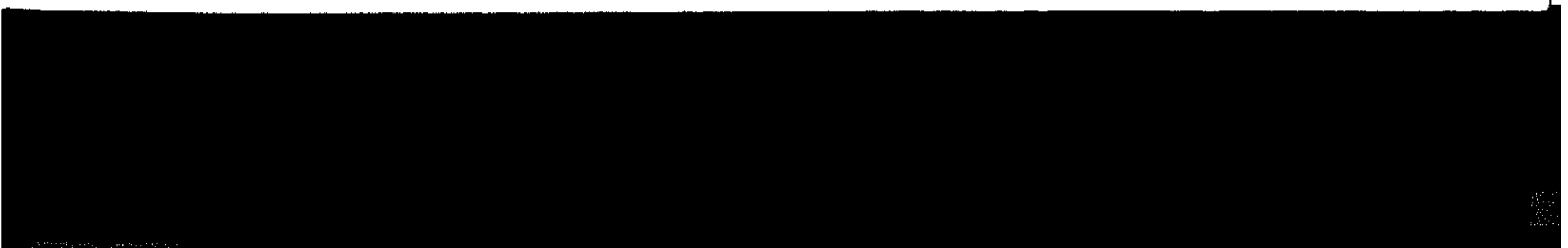
دار المعارف

مكتبة
دار المعارف
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
أشرف المجاهدين وأشجع المقاتلين ، وخير الخلق
أجمعين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ،
ومن تبع هديه إلى يوم الدين .

Handwritten text, possibly bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.



الفصل الأول

الجهاد الإسلامي جهاد من أجل المبادئ

يقول الله سبحانه وتعالى :

(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ، الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) .

[النساء : ٧٥ ، ٧٦]

ويقول عز وجل :

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) .

[البقرة : ١٩٣]

ويقول سبحانه :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

[البقرة : ٢٤٤]

من هذه النصوص القرآنية الكريمة نتبين : أن الجهاد في الإسلام إنما هو جهاد من أجل فكرة ؛ هذه الفكرة هي : ما عبر عنه سبحانه : بسبيل الله ، وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال في الإسلام إنما كان من أجل :

١- أن يكون الدين كله لله .

٢- وألا تكون فتنة .

٣- ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر الكثير ، فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .

٤- ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . وقد يتساءل إنسان : ما هو سبيل الله ؟

وكيف يكون الدين كله لله ؟

ومن أجل بيان سبيل الله نذكر بعض المبادئ الإسلامية ، متضمنة في قصص واقعية ، تصور طريق الرشاد ، وطريق البغي ، تصور أولياء الله ، وأولياء الشيطان .

(١) من أولى هذه القصص ، قصة هؤلاء الذين هاجروا بدينهم إلى الحبشة . لم تكن هجرتهم هجرة سياحة ، يستمتعون فيها بشهواتهم ، ملبين داعي الأهواء ، ولم تكن هجرتهم ، هجرة لدنيا يصييونها ، أو امرأة ينكحونها ، وإنما هاجروا بدينهم ولدينهم ، لقد هاجروا حتى لا يفتنهم الطغاة الظالمون ، لقد هاجروا لله ، وللخلق الكريم ، وللمثل العليا .

إنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فلما سافروا بدينهم إلى الحبشة ، أرسل القرشيون وفدًا إلى النجاشي فيه : عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، لرد المهاجرين إلى مكة ؛ ليعذبوهم من جديد ، ولما التقى الوفد بالنجاشي قال له عمرو بن العاص :

إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت : وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم ، من آبائهم وأعمامهم ، وعشائرتهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا - أى : أبصر بهم - وأعلم بما عابوا عليهم .

فلما سمع النجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة ألا يسلم إليهم المهاجرين دون أن يسمع كلامهم ، وحجتهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءوا قال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟

فكان الذى كلمه : جعفر بن أبي طالب ، فقال له : يا رسول الله ، كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان

أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (وعدد عليه أمور الإسلام)

فصدقناه وآمنا به ، وتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا
فعدا علينا قومنا : فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من

عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا
وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك . . .
ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم ، بكى النجاشي ثم قال : إن هذا والذي
جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .
ثم التفت إلى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص فقال لهما :
« انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما » .

لقد علم النجاشي ، فور سماعه ، المبادئ الإسلامية :
« أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يخفى صدقها على أصحاب
الفطرة السليمة ، وعلم أن ما أتى به محمد ، صلوات الله عليه وسلامه ، إنما يصدر
من المنبع الذي كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام » .
وسبيل الله - كما صوره سيدنا جعفر - توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق
الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم
والدماء . وإقامة الصلاة وأداء الزكاة ، والصيام . . . والابتعاد عن الفواحش ،
وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة . . .
أما سبيل الشيطان فهو :

عبادة الأصنام : عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ، واستعباد
الآخرين ، وإخراج الأمنين من ديارهم بغير حق .
وسبيل الشيطان : إتيان الفواحش ، وقطع الأرحام ، وإساءة الجوار وأن
يأكل القوى الضعيف .
وسبيل الشيطان أيضًا : قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب ، والغش بكل طرقه
وأساليبه ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات . . .

(ب) وإذا أردنا تصويرًا آخر لسبيل الله - في إجماله وعمومه - حسبما رآه أحد حكماء العرب - ولم يكن قد أسلم - وهو أكرم بن صيني فإننا - تصويرًا للأمر في واقعه - نذكر القصة التالية :

لما ظهر النبي - ﷺ - بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم بن صيني ابنه : « حَبِيشًا » فأتاه بنخبره ، فجمع بني تميم ، وقال لهم - فيما قال - : إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بنخبره ، وكتابه : يأمر بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد حلف (عرف) ذوو الرأي منكم : أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ، ترك ما ينهى عنه : ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينًا ، لكان في أخلاق الناس حسنًا » .

وسبيل الله كما رآه أكرم : توحيد الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بمحاسن الأخلاق .

وكلمة : الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جميلة جمعت فاستغرقت ، وشملت فعمت .

أما كلمته الرائعة حقًا ، السامية حقًا ، العجيبة في صدقها وإيجازها وفصاحتها ، فهي قوله :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينًا ، لكان في أخلاق ، الناس حسنًا » .

(ح) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدوًّا لدودًا للإسلام لم يستطع أن ينكر أن محمدًا ، ﷺ إنما يدعو إلى :
 الصلاة والزكاة والصلة (صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودتهم) والعفاف ،
 لقد أعلن أبو سفيان ذلك في ملاء من الأَشْهاد ردًّا على سؤال هرقل كما رواه الإمام
 البخاري رضي الله عنه .

(د) وسبيل الله هو مارسمه الله سبحانه ، وأنزل على رسوله ، ﷺ ، فكان
 قرآنًا ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتبلور ويتمركز في :

١ - التوحيد في مجال العقيدة .

٢ - الرحمة في المجال الأخلاقي .

٣ - العدل في مجال التشريع .

ويقول سبحانه وتعالى في العقيدة :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

[الأنبياء : ٢٥]

ويذكر سبحانه من شواهد ذلك :

على لسان سيدنا هود :

(وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ . يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) .

[هود : ٥٠ - ٥٢]

وعلى لسان سيدنا صالح :

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ).

[هود : ٦١]

وعلى لسان سيدنا شعيب :

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْبَيْكِيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ).

[هود : ٨٤]

ويقول عز وجل موضعا سبيله أمرا ونهيا :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

[النحل : ٩٠]

ويقول تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ عَلَىٰ مَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

[المتحنة : ١٢]

ويقول سبحانه :

(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

[الأنعام : ١٥١ - ١٥٣]

ويحمل رسول الله ، ﷺ ، رسالته في قوله :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » :

وما من شك في أن مكارم الأخلاق في :

الاعتقاد : التوحيد .

وفي التشريع : العدل .

وفي الأخلاق : الرحمة .

وحيثما يتحدث الرحمن الرحيم ، الودود القريب المجيب ، عن بواعث الرسالة الإسلامية ، عن حكمتها ، عن طابعها ، عن سماتها العامة ، عن سماتها الخاصة ،

فإنه سبحانه يعلنها : رحمة .

يقول سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) .

[الأنبياء : ١٠٧]

هذا هو سبيل الله ، وهذه هي الرسالة ، التي كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان

بها ، والتبشير بها ، والقيام عليها ، وتدعيمها في الأنفس والآفاق .
ولو فتحت الأقطار أبوابها للدعوة بها والتبشير بمبادئها وهي توحيد وعدل
ورحمة .

ولو آمنت بها الجماعات والشعوب ، وهي حق وخير .
ولو اعتنقها الأفراد والأمم وفيها خيرهم وسعادتهم . لما احتاجت الأمة الإسلامية
إلى الجهاد بالسيف ، ولما كان قتال في سبيل الدعوة .
ولكن الرسول ، ﷺ ، أخذ يدعو قومه ليلاً ونهاراً فلم يزداهم دعاؤه
إلا إعراضاً ، وكان كلما دعاهم إلى سبيل الله جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا
ثيابهم وأصروا ، واستكبروا استكباراً ، لقد دعاهم الرسول ، ﷺ ، جهاراً بعد
أن دعاهم سراً قبل أن يؤمر بالدعوة جهراً .

لم يستجب المشركون إلى التوحيد والعدل ، لم يستجيبوا إلى الفضيلة ومكارم
الأخلاق ، ولم يأخذوا الموقف السلبي من الدعوة فحسب ، وإنما استمروا في
ظلمهم وطغيانهم وجبروتهم ، فعذبوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، فترلت
الآية الكريمة :

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَانِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) . . .

[الحج : ٣٩ ، ٤٠]

لقد بغى المشركون ، وأخرجوا النبي ، ﷺ ، من بين أظهرهم ، وهموا بقتله ،
وشردوا أصحابه شذر مذر ، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة (١) .

(١) ابن كثير في تفسير آية الإذن بالقتال .

وأَسباب الإِذن بالقتال أسباب عامة ، إنها أسباب الجهاد الإسلامي في سبيل الله ، في كل زمن ، وفي كل بيئة وهي منع الظلم على وجه العموم ، الظلم في صورته البشعة المتعددة التي منها إخراج الأبرياء الآمنين من ديارهم ، ومن أموالهم ، أو إبقائهم فيها على حالة من الذل ، ومن الاستعباد ولا ترضى إنسانية ولا خلقاً كريماً .

وهي أيضاً الانحراف عن الحق ، والخير ، وعن التوحيد والعدل .
وجاء الإِذن بالقتال .

وجاء الأمر بالجهاد .

وجاء التشجيع على الجهاد مع الأمر به .

وكان التشجيع على الجهاد ، يتجه إلى الناحية النفسية البحتة أحياناً .

وأحياناً أخرى ، كان يتجه إلى الناحية الاجتماعية ، ومكانة الأمة الإسلامية في

الكون .

وكان يتجه في بعض الأحيان إلى بيان الأسباب والبواعث .

ويتجه أيضاً مع كل هذا إلى بيان الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى .

الفصل الثاني

الجهاد في السلم والحرب

يقول الله تعالى :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

[البقرة : ٢١٦]

وروى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق . »
والآية الكريمة تؤيدها آيات كثيرة في معناها ، والحديث الشريف تعضده
أحاديث لا تكاد تعد ، كلها توجب الجهاد في سبيل الله . وتفرضه فرضاً في صورته
المختلفة المتعددة .

إنه فرض يتسع مداه ويختلف بحسب الظروف والملابسات ، وهو فرض يختلف
صوره باختلاف الحاجة إليه في السلم والحرب .
والجهاد في حالة السلم استعداد لا يفتر . إنه استعداد معنوي يقوى الإيمان ،
ويثبت الاعتماد على الله ، وهو استعداد مادي لا يقتصر على زاوية من الزوايا
المطلوبة للقوة .

لقد كان رسول الله ، ﷺ ، يشجع على الرماية ، ويسر حينما يرى شباب الإسلام ، يتعلمها .

روى البخارى عن سلمة بن الأكوع ، رضى الله عنه قال : مرَّ النبي ، ﷺ ، على نفر ينتضلون فقال :

« ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً » .

وكان ، صلوات الله عليه ، يكره أن يرى الرجل قد تعلم الرمي ثم تركه ، وأهمله .

روى الإمام مسلم عن أبي حماد ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

من علّم الرمي ثم تركه ، فليس منا ، أو فقد عصبى » .

ولم ينس صلوات الله عليه صناعة الأسهم ، وأجر صانعها ، وأن جزاءه الجنة ما دامت في سبيل الله ، فعن أبي داود رضى الله عنه ، عن رسول الله ، ﷺ ، قال :

إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي به ، ومنبله .

وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، ومن ترك الرمي بعد ما علّمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها ، أو قال كفرها .

وحدث رسول الله ، ﷺ ، على تعلم ركوب الخيل ، فروسية وجهاداً ، وعلى اقتنائها ، وعلى الإنفاق عليها ، وقد كان صلوات الله عليه يحبها ، ويركبها ، ويدللها .

فعن ابن يسار رضى الله عنه ، فيما رواه الإمام أحمد والنسائي : أنه لم يكن

شئ أحب إلى رسول الله ، ﷺ ، من الخيل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه القائل فيما رواه البخارى ومسلم :

« الخيل معقود في نواصيها الخير ، والأجر ، والمغرم إلى يوم القيامة » ، وعن هذا الاستعداد المادى ، والمعنوى يقول الله تعالى ، أمراً موجبا .

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال : ٦٠]

سواء كانت هذه القوة مادية ، أو معنوية ، والاستطاعة في واقع الأمر ، لا حدود لها ، وهذا الإعداد إذن لا ينتهى ، ولا يفتر فى أى يوم من الأيام . على أن الله سبحانه قد ربط الإيمان بالجهاد ، وفى صورة محكمة متماسكة لا انفصام لها ، لقد ربط الله سبحانه الجهاد بالإيمان ربطاً بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه .

إن عقد الإيمان الذى بيننا ، وبين الله ، سبحانه وتعالى من أهم شروطه أن نبيع بمقتضى هذا العقد أنفسنا وأموالنا مجاهدين بذلك فى سبيل الله وثنم ذلك إنما هو الجنة ، ويصور الله تعالى ذلك فى هذه الآية الصريحة :

(إِنْ لَمْ يَشْرَوْا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

[التوبة : ١١١]

وحينما نزلت هذه الآية قال الصحابة ، رضوان الله عليهم ، ربح البيع . لا نقبل ، ولا نستقبل .

والمؤمن إذن مجاهد فى سبيل الله . فى كل أوقاته . إنه مجاهد بجماله . ومجاهد

بنفسه ، ومجاهد بوقته ، ومجاهد بعمله ، ومجاهد بلسانه ، إن الكيان الإنساني كله ،
يجب أن يكون جهاداً في كل فترات الحياة ، ومن أجل ذلك كان المسلمون الأول
يتسابقون إلى الجهاد ، والله سبحانه يصور شأنهم فيقول :
(لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

[التوبة : ٤٤]

أما المنافقون ، وأما الذين لا إيمان لهم ، فإنهم يتمحلون المعاذير فراراً من
الجهاد ، ويستأذنون في النكوص عنه ، ويلجئون إلى الاستنامة عنه ، والفتور ،
والله سبحانه يفضحهم مصوراً ظاهرهم وباطنهم :
(إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَبِّهِمْ يترددون) .

[التوبة : ٤٥]

وبعد فإنه من أجل إرضاء الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل دخول الجنة ، حيث
النظر إلى وجهه الكريم يتسابق المسلمون في الجهاد .
روى الإمام مسلم عن أنس ، رضى الله عنه قال :
« انطلق رسول الله ﷺ ، وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء
المشركون فقال رسول الله ﷺ :
لا يقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه .
فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ :
قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فقال عمير الأنصاري ، رضى الله
عنه :

يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟

قال : نعم .

قال : بخ بخ .

فقال رسول الله ﷺ :

ما يملك على قول بخ بخ ؟

قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها .

قال : فإنك من أهلها .

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال :

لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة .

فرمى بما كان معه من التمرات ، ثم قاتلهم حتى قتل . رواه مسلم .

وأما بعد : فإن رسول الله ﷺ ، وهو المعبر الصادق دائماً عن موقف المؤمن ،

يقول فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :

«والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو

فأقتل ، ثم أغزو فأقتل .»

وما ذلك من رسول الله ﷺ إلا لمعرفة بما ينال الشهيد ، من رضوان الله ،

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين ، في أسلوب لا لبس فيه

ولا غموض ، فقال تعالى :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

[البقرة : ٢١٦]

ومن المعروف أن هذه الفرضية إنما هي فرضية كفاية إذا لم يكن العدو في داخل

بلاد الإسلام ، أما إذا كان العدو في داخل بلاد الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أينما كان .

إذا كان العدو مثلاً بفلسطين كما هو الآن ، فإن الجهاد واجب على مسلمي باكستان ، وعلى مسلمي الهند ، والجزائر ، وتونس ، إنه واجب على كل مسلم على ظهر المعمورة ..

وليس معنى ذلك أن كل شخص مها كان عمله يجب عليه أن يترك عمله ، ويحمل السلاح ليذهب إلى الميدان ، وإنما معنى ذلك أن الدولة كلها يجب أن تعبأ تعبئة كاملة للحرب ، وأن ينسق العمل بحيث يصبح الجهاد هدفاً تسخر كل القوى من أجله وبذلك يكون العامل والصانع مجاهداً وإن كان في معمله ، أو في مصنعه . وعلى جميع الدول الإسلامية الآن أن تعبئ قواتها لتؤدي فريضة الجهاد في هذه البقعة التي اغتصبت من أرض الإسلام والعروبة ، وإلا أثم كل فرد ، وأثمت كل دولة .

والموقف الإسلامي الذي لا موقف غيره بالنسبة للجهاد ، إنما هو أن يستعد كل مسلم لأن يصبح جندياً في سبيل الله بنفسه وبماله .

لقد مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ذات يوم بعين من ماء عذبة فأعجبته فأراد أن يقيم بجوارها يعبد الله ، ويعتزل الناس ، أراد أن يعتكف في الجبل بجوار العين يشرب من مائها ، ويأكل من النباتات التي تنبت حولها ، ويمكث راضى النفس هادئ البال ، ثم قال لنفسه : لن أفعل حتى أستأذن رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، ما دار بخلده ، فقال له ، ﷺ :

« لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلواته في بيته سبعين عاماً . ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة : أعزوا في سبيل الله ، من قاتل في